بسمه تعالى

# إدخال الناس إلى الجنة بالقوة

عناوين فقرات الدراسة:

ما النفع من إجبار الآخرين على الإسلام؟

ما هي وظيفة الرسول؟

حروب الرسول محمد(ع)

تركيز الرسول على نفسه للنجاة من النار

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

مرونة التشاريع القرآنية

الجدل بالتي هي أحسن

الفرقة الناجية

شرطة الربّ

قاطع تذاكر دخول الجنّة

السيادة الدينية لمن؟

## مدخل

يحمل العنوان في طياته مفارقة منطقية، فكيف يُساق المرءُ إلى الجنة بسلاسل الإكراه، وهي جائزة المؤمن عن قناعة؟

العنوان يرينا الهشاشة عند أصحاب التفكير والسلوكيات المبنية على أساسه، وذلك حين نسأل السؤال البسيط: هل يدخل الجنّة الذي جرى إجباره على إعلان إيمانه، وإجباره على القيام بما يراه المؤمنون واجبا كالصلاة والصوم وغيره؟

الإجابة بالنفي القاطع، لأن الإيمان اعتقاد في القلب، وهذا أجبروه على إعلان الإيمان بلسانه بينما من داخله لا يؤمن به، وأجبروه على القيام بأفعال لا يريد القيام بها، كالصلاة والحجاب والصوم... وهو يفعلها غصبا عنه لا للتقرّب بها إلى الله تعالى. هذا، على أي معيار سيدخل الجنّة؟

الطرح على الرغم من سهولة رؤية جوابه عند العقلاء، إلا أنه موجود بشكل صريح أو خفي كخلفية عند بعض العلماء وأصحاب القرار، الذين -إذا- لم يعلنوا اعتقادهم بهذه الفكرة، لكنهم في بعض الفتاوى والشؤون يتصرفون على أساسها!

نرى القرآن يفصل بين حالتين، الإيمان، والإسلام. على أساس أن أحد ما قد يصير مسلما لسبب أو لآخر، حيث قد يرث الإسلام من أبويه ومجتمعه، أو يضطر لمجاراة محيطه فيسلم ليعتبروه واحدا منهم، أو يخسر في الحرب فيعلن إسلامه ليضمن حياته.

هنا نرى العلماء والحكّام ورؤوس الجماعات الدينية يخلطون بين الاسلام وبين الإيمان، هم على المستوى النظري يفرقون بينهما، ولكن عمليا "غالبيتهم" يتحدثون عن الدخول إلى الجنّة كمشروع جماعي، يتخطى تبليغ الآخرين بما قاله تعالى، ويتخطى ترك الناس وشأنهم فيما يؤمنون به، لينحو باتجاه إجبار الناس على الإسلام وعلى الإيمان ليس بالدين الإلهي فقط، بل أيضا بمذهبهم وعقيدتهم.

تمييز القرآن للإيمان عن الاسلام نقرؤه في مثال أهل البادية الذين كانوا "في زمن النبي محمّد(ع) مجاورين لمدينة يثرب التي صار للمسلمين فيها قوّة عسكرية، وقبلها كان الجوّ العامّ السائد، أن كل الآخرين معادون للمسلمين، وبينهم قتل وعراك، لهذا ولغيره أعلن سكان البادية المجاورون للمدينة إسلامهم، ليضمنوا سلامتهم من جيرانهم

المسلمين، طبعا هذا ضمن أجواء الحرب الدائرة بين المسلمين في حينها "ومركزهم مدينة يثرب" والكفّار "ومركزهم الأساسي مكّة"، وما بينهما من سكّان البوادي "عائلة واحدة أو مجتمع صغير من عدة عائلات" صاروا خائفين على أنفسهم، لذلك أعلن بعض المجاورين لمدينة يثرب إسلامهم، بينما لم يفرض النبي محمّد(ع) عليهم ذلك، ولكن خوفا من اعتبارهم كفّارا معادين أسلموا.

يبدو "بالتحليل من التاريخ ومن القرآن" أن النبي محمد(ع) طلب منهم ترك البوادي والسكن في المدينة، للحفاظ على حياتهم، لأنهم بإسلامهم صاروا عرضة لاعتداءات الكفّار، ومن ناحية ثانية لتقوية مجتمع المسلمين عدديا عند الحاجة للدفاع أو الهجوم، ومن ناحية ثالثة حتى يصير إسلامهم له معنى بتعلّمهم العقيدة والشريعة الإلهية، بدلا من بقائهم على الجاهلية.
بعض الأعراب "سكان البوادي" فعلا رغب في الإسلام ودخل فيه عن قناعة، ونقل مسكنه إلى المدينة، وقد مدحهم القرآن، وآخرون لم يفعلوا ذلك، ويخبرنا القرآن عن مسألة تخلّف البعض منهم عن القتال مع المسلمين، وقلة

اهتمامهم بتعلّم الشريعة الإلهية وبقائهم على ممارساتهم السيئة القديمة، وهذا ليس موضوعنا هنا، ولكن ما قالته الآية 14 من سورة الحجرات:

﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

يرينا فصلا قرآنيا واضحا بين إعلان الإسلام "وهذا يشمل الإسلام بالإكراه، أو وراثته، أو طواعية"، وبين دخول الإيمان إلى القلب، على معنى التصديق والاعتقاد بمبادئ هذا الدين والرغبة بالالتزام بتشريعاته، بينما الإسلام بأبسط أشكاله، يبدأ من إعلان الانتساب للدين فقط.

للتأكيد قرآنيا على الفرق بين الاسلام والإيمان، حيث الإيمان يتضمّن الرغبة بالالتزام بالشريعة... تجد أكثر ما كرّره القرآن كلامه عن شرطين كلاهما معا يسببان دخول جنّة الآخرة: الإيمان والعمل الصالح. حيث لا الإيمان لوحده ينفع، وهي حالة الاسلام بلا إيمان حقيقي، ولا العمل الصالح لوحده ينفع، بل كلاهما معا،

وكمثال من عشرات الأمثلة نأخذ الآية 122 من سورة النساء:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾

هذا شيء أساسي يجب تذكّره دائما أثناء بحثنا هنا، وننتقل لنسأل عن النفع من إجبار الآخرين على الإسلام، فضلا عن إجبارهم على تغيير مذهبهم الإسلامي الذي سنتناوله في الفقرات القادمة.

## ما النفع من إجبار الآخرين على الإسلام؟

بعد هذه المقدمة نسأل عن نفع إجبار الآخرين على إعلان إسلامهم، أو إجبارهم على فعل الواجبات الدينية، ما الفائدة منه ولمن الفائدة؟ هل سيدخل "المجبرون" إلى الجنّة؟ أم الذي أجبرهم سينال ثوابا؟ وعلى ماذا سينال الثواب؟

ورد في القرآن كلام عن حرب ضدّ كفّار "معادين" يمتنع المسلمون عن قتالهم إذا أعلن الكفّار إسلامهم قبل القتال أو أثناءه، وتقرأ ذلك في الآية 16 من سورة الفتح:

﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ حتى لو كان معنى "يسلمون" يقصد إعلانهم إسلامهم، علما أنه قد يعني استسلامهم "يسلمون لكم"، سواء قبل الشروع في المعركة أو أثناءها، على أي حال، يبقى كلام الآية عن كفّار معادين، وليس عن كفّار مسالمين، وهو المفهوم الخاطئ الذي بنو عليه عقيدة وتشريع إجبار الآخرين على الإسلام بل وعلى مظاهر الإسلام، بل وعلى ما يسمّى بالعبادات "الواجبات الدينية من صوم وصلاة..."، بينما كل كلام القرآن عن حقن دماء الكفّار المعادين "امتناع المسلمين عن قتلهم لأنهم كفّار معادين" إذا أعلنوا إسلامهم.

أعد قراءة القرآن من أوله لآخره ولن تجد شيئا عن إجبار الآخرين على إعلان إسلامهم، ولا عن إجبارهم على مظاهر الإسلام، إلا لحالة الكفّار المعادين، وهو الحلّ الذي يحقن دماءهم "يمنع المسلمين من قتلهم"، فقط وفقط لا غير، لأن القرآن رسم خطّا لا يمكن تجاوزه، قائلا عن كل كافر معاد أنه يجب على المسلمين قتاله

إن كانوا قادرين، وإن لم يقدروا وجرت معاهدة صلح، ولم يقم الكافر المعادي بنقضها، يجب على المسلمين الالتزام بمدة الهدنة، وحين تنتهي ويكون لدى المسلمين قدرة على قتاله، يجب عليهم قتاله حتى لو لم يرغب الكافر المعادي بقتال المسلمين الآن. هذا يأخذ الأمور نحو الحلّ الوحيد لهذا الكافر، أن يعلن إسلامه.

المفسرون للقرآن عموما وقعوا في حيرة أثناء تفسيرهم لبداية سورة التوبة، ولم يفهموا أنها تتحدّث عمّا نقوله هنا، بسبب قناعتهم بأن القرآن يأمر بقتال كل الكافرين طالما نستطيع، ويسمّون الآية التي يرونها نسخت كل شيء سلمي في القرآن بـ:"آية السيف".

﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [ سورة التوبة: 5]

لهذا، لم يستطيعوا فهم الآيات التي فيها كلام صريح عن ترك الكفّار المسالمين وعدم التعرّض لهم بأي أذى، وحكم بعضهم بوجود نسخ في نفس الفقرة من سورة التوبة التي نزلت دفعة واحدة! وعموما تاهوا في تفسير

الآيات، وبمراجعة أي تفسير لأي من المسلمين، لن تفهم شيئا مما يقولونه عن الآيات لأنهم "هم" لم يفهموا أن الكلام عن الكفّار الذين في السابق لم يعلنوا عداءهم ولا مرة للمسلمين، وهؤلاء أشارت لهم الآيات باحترام المعاهدات معهم، بل وبتجديدها، وثانيا أمرت بالاستمرار بالمعاهدات مع المعادين الذين لم ينقضوا عهدهم، وثالثا أمرت فقط بإلغاء المعاهدات مع الكفّار الذين نقضوها، ثم جدّدوها، أو لم يجددوها، فلا تجديد لها.

إذا لدينا ثلاث حالات: كفّار مسالمين من الأساس لم يصدر منهم أي عمل عدائي للمسلمين. كفّار صدر منهم عمل عدائي ولكن بعدها أمضوا معاهدة "هدنة أو صلح" والتزموا بها. كفّار معادون وعداءهم مستمر سواء وقّعوا على هدنة وخالفوها أم لم يوقّعوا هدنة.

غالبية المسلمين لم يفهموا أن كلام القرآن عن الكفّار "تشريعيا" لم يشملهم كلّهم مع بعض، صحيح أنهم كلّهم إن ماتوا على كفرهم، سيكون مصيرهم إلى النار، ولكن تشريعيا بيننا نحن وبينهم، قد فصل القرآن بينهم وجعلهم ثلاث مجموعات، حيث الكافر المسالم تبرّه وتقسط إليه، والمعادي المعاهد الذي لم يقم

بأعمال عدائية وهو ملتزم بعهده، هذا توفي بعهده، أمّا المعادي بدون أو مع عهد وهو مستمر في أعماله العدائية، هذا يجب قتله وملاحقته، أو يعلن إسلامه وعندها يتم تكسير أصنامه والتأكد من رفعه الأذان وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.

بناء عليه، لو مرّ النبي محمّد(ع) بقرب كافر مسالم ورآه يعبد صنما، ضمن الدولة الإسلامية، فلن يتعرّض له النبي ولن يكسر صنمه، بل يبرّه ويقسط إليه، طبعا بعد مجادلته بالتي هي أحسن...

للأسف، عمّموا حكم "الكافر المعادي" على الجميع، ونتج عنه تجويز قتل أي مخالف للدين الحنيف، وصولا إلى تجويز قتل المسلمين المخالفين بالمذهب؟! اشتقاقا من جواز قتل الذي لا يعتقد بالدين الحنيف؟! وسنتحدّث عن نسخهم للآيات السلمية بعد قليل.

هكذا ترى أن المنفعة الوحيدة "قرآنيا" من إجبار الآخرين "فقط الكفّار المعادين" على الإسلام، هو حقن دمائهم، ليمتنع المسلمون عن قتلهم على اعتبار أنهم صاروا مسلمين.

## ما هي وظيفة الرسول(ع)؟

قرآنيا، الرسول الإلهي ليس موظفا لإدخال الناس إلى الجنّة، بل موظّف للتبليغ، فقط لا غير، وتقرأ ذلك في عشرات الآيات منها الآية 99 من سورة المائدة:

﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾.

واقع الحال قد يؤدّي إلى وظائف أخرى ملحقة، يضطّر الرسول لتولّيها، خذ مثلا مجتمعا يحصل فيه خلافات بين الناس، والرسول الإلهي هو الأعلم بالتشريع، عندها "واقع الحال" يفرض على الرسول أن يصير قاضيا.

خذ مثلا عن فراغ حكومي، والرسول شخصية قيادية، كما حصل مع بعض الأنبياء مثل موسى وداوود وسليمان ومحمدعليهم السلام، حيث واقع الحال دفعهم لاستلام دفّة الحكم، وترى أن "واقع الحال" هو السبب من الآية 246 من سورة البقرة:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي

سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

يطلب الناس من نبيهم اختيار الأنسب من بينهم "بمباركة إلهية" ليقودهم في الحرب، كملك، والنبي موجود بينهم! السبب واضح، فالنبي الذي بينهم لا يحمل المواصفات المؤهلة ليكون قائدا عسكريا "وحاكما"، هكذا يكون واقع حال ذلك النبي أن لا يتولّى الحكومة ولا القيادة العسكرية لأنه غير مؤهّل لذلك.

خذ مثالا آخر عن "رسول "لا يحمل صفات القائد، كما تقرأ في عدة آيات منها الآية 94 من سورة طه:

﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾.

هارون(ع) رسول، ولكنه لم يملك الصفات القيادية التي عند أخيه موسى(ع)، والقصة مشهورة حيث أخبر النبي موسى(ع) قومه بأنه سيصعد إلى الجبل لمدة ثلاثين يوما وينزل بعدها بكتاب من عنده تعالى، في اليوم الثلاثين لم يسمح سبحانه لنبيّه بالنزول وأبقاه عشرة

أيام زيادة، أثناء تلك الأيام العشرة، قسم كبير من بني إسرائيل قرّر إدخال تعديلات دينية... وصنعوا عجلا من المعدن، وعبدوه...

حين نزل النبي موسى(ع) من الجبل "منفردا" أرعد قومه خوفا من هيبته، لوحده، وبكلمتين منه ضبط الفلتان "عبادة العجل"، بينما أخوه "هارون" كان يعاني لعدة أيام مع القوم، لدرجة خوفه من قتلهم له!

استطردنا لنفهم أن بعضا من الثوابت في عقول الناس قد تكون مخالفة للقرآن بشكل صريح، ولنرى أن الرسول الإلهي وظيفته فقط وفقط التبليغ، وباقي الأمور التي كان للرسل تفاعل معها، كالقضاء بين الناس، أو قيادة الحروب، أو استلام الحكومة... ما هي إلا أمور فرضها الأمر الواقع.

أمّا الآيات التي استدل البعض بها ليؤكد أنه تعالى يريد من الناس جعل الرسل "أو الأنبياء" حكّاما، فهذا مبني على تلاعب بمعاني كلمة "الحكم" التي أحيانا يمكن مناسبتها مع معنى استلام الحكومة، وأحيانا لا تتناسب، ولكنها في استعمال القرآن من أصل واحد، الحكمة، التفكير والتصرّف برشاد، كما هو واضح من الآية:

﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: 12] التي بالبداهة لا تعني أمر الناس بجعله مستلما للحكومة، ولا تعني أنه استلم الحكومة، بل تعني أنه حكيم.

ومن اشتقاقات استعمالها قول الصواب والرشاد بين المتخاصمين ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [ النساء: 58].

نرجع إلى فكرة إجبار الناس على الإيمان إن كانت من ضمن وظائف الرسل، وكما ترى، إن كان استلام الحكومة وقيادة الحروب... ليس من الوظائف المحددة للرسل، فهل من وظيفتهم إجبار الناس على الإيمان، وما النفع منه؟ وبأي طريقة وأسلوب؟ بالحوار للإقناع أم بالقوّة؟ وبماذا نفسّر صريح عشرات الآيات التي تنص بصراحة على ترك الناس وشأنهم فيما يعتقدونه، وعلى الرسل البلاغ فقط؟ خذ مثالا هذه الباقة من الآيات:

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (21) لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ (22)﴾. من سورة الغاشية

﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ (40)﴾. من سورة الرعد

وربما الأشد وضوحا وأهمية بينها وتستحق أن تكون عنوانا لموضوعنا هنا، الآية 99 من سورة يونس:

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾

أيضا ينبّه القرآن رسوله أنه حتى بالحوار وبالمنطق والحجّة والدليل و... لن تستطيع إقناع من لا يريد الاقتناع، حتى لو استنفدت كل وقتك وجهدك عليه، كما تقرأ في الآية 56 من سورة القصص:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾

بل أكثر من ذلك، ترى سبحانه يخبر رسوله بأن لا يشعر بأي انزعاج نفسي أسفا على الذين يرفضون الإيمان، حيث يعلم الرسول بأن مصيرهم النار، ولذلك يأسف ويتحسّر عليهم من مصيرهم الذي سيواجهونه حتما، ويتمنّى لو يؤمنوا ليتجنّبوا هذا المصير، ولكن، يأتي

التوجيه الإلهي بشكل مختلف كما تقرأ في الآية 8 من سورة فاطر:

﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾

هذا الكلام كلّه مبني قرآنيا على الآية 256 من سورة البقرة:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

كما ترى، يأمر سبحانه رسوله بأن لا يكره أحدا على الإيمان، ولا على الإسلام، ولا على الالتزام بما يسمّى بالواجبات الدينية، ولا حتى على الالتزام بالمظاهر الدينية، علما بأن الرسول كان متضايقا على مصيرهم، ولم يأمره تعالى بإجبارهم حتى ينجّيهم غصبا عنهم من النار، وأساسا الإجبار لا معنى له ولا فائدة له في هذه الحالة.

بعد هذا كلّه نسأل، لو مرّ الرسول بقرب إنسان مسالم يعبد الحجر، في ظلّ حكومة إسلامية،

ماذا يأمره تعالى أن يفعل معه؟ يأتيك الجواب في آيتين من سورة الممتحنة:
﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (8) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (9)﴾

هذا يرينا أن كل تاريخ الرسول محمد(ع) فيما يخصّ الأعمال العدائية "قتال، أسر، تكسير أصنام..." كان فقط وفقط ضد المعتدين، وهذا كل كلام القرآن أمامنا وليس فيه أمر مباشر أو حتى تلميح، بالسماح بالقيام بعمل عدائي ضد أي مسالم مهما كانت عقيدته، حتى بعض أهل الكتاب المؤلّهين للنبي عيسى(ع)، وهو شرك عقابه الخلود في النار، واستبدالهم الأصنام بالصلبان والتماثيل والصور للقديسين، واتخاذهم رهبانهم أربابا... نرى القرآن ينهى رسوله عن أي عمل عدائي ضدهم ما داموا مسالمين، بينما هم بسلوكهم هذا، لا فرق بينهم وبين المشركين الذين يعبدونه تعالى ولكن يشركون به.

## حروب الرسول محمّد(ع)

القرآن أرّخ لبعض حروب الرسول من جانبها الديني، عارضا أسباب سماحه تعالى للمؤمنين به بقتل الآخرين، وأصرح آية في ذلك ما ورد في الآية 190 من سورة البقرة:

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾

نتوقّف هنا مليا: إله يأمر بالقتل. دين يأمر بالقتل. كتاب إلهي يأمر بالقتل. هذه تستوقف العقلاء من الناس ليفكروا فيها ويتأمّلوا مرتين وثلاث، لأن القتل من أسوأ الأعمال التي يقوم بها المتوحشون من البشر، فكيف دين إلهي يأمر بالقتل!

لكنها نفس الفكرة "القتل" تدغدغ الفكر الإجرامي عند بعض الناس، ويشعرون بالراحة منها! بسبب رغبتهم بالدين الإجرامي، بل يسقطون أفكارهم الإجرامية على النص السلمي الصريح الواضح "ولَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ" ليجعلوه موافقا لهواهم الإجرامي، مبيحين القتل للمسالمين...

غالبية المفسرين وعلماء الدين لم يفهموا أن كل كلام القرآن عن أمر المؤمنين بالقتال، كان

تبريريا: لماذا يأمر تعالى بالقتال أو يسمح به للمؤمنين؟ الجواب: لأن الآخرين يقومون بأعمال عدائية ضد المؤمنين من تهجير، أسر، مصادرة أملاك، قتل، سبي...".

ألفت انتباهك لمسألة قرآنية رائعة لم ينتبه لها المسلمون "بحسب اطلاعي"، وهي إبقاء توصيف العمل السيّء سيئا مهما كانت الظروف، حيث القتل عمل سيّء، ويبقى توصيفه سيئا حتى لو أمر تعالى بفعله "قتل الكافرين المعادين"، من هذه الخلفية يمكنك إعادة قراءة القرآن لتراه يبرّر دائما لأمره تعالى للمؤمنين به بقتل الآخرين "المعادين"، كشيء اضطراري إجباري لا خيار غيره للدفاع عن النفس أمام العدو، مع إبقاء القرآن لصفة السوء على عمل القتل، وهذا يختلف عن الذين يقولون أن القتل يصير حسنا لأنه تعالى أمر به، لا، يبقى توصيفه سيئا، حتى العذاب الذي يفعله تعالى يبقى توصيفه سيئا، وهذا ما قاله القرآن.

كل كلام القرآن عن القتال كان يبرّر لسماحه تعالى للمؤمنين بالقتال، ويذكر السبب، وإن لم يذكره صراحة، يكون ضمنيا معلوم، حيث يكون الكلام عن كفّار معادين.

هذا المفهوم غاب عن بال غالبية المفسرين والفقهاء، وعن عامّة الناس، لذلك تراهم محكومين لا بصريح القرآن، بل بحالتهم العسكرية، فإن كان المسلمون أقوياء، جنحوا للحرب تحت عنوان ديني: ضد الكفّار، ضد أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية، ضد مسلمين من مذهب مغاير، ضد مسلمين ينتسبون لفقيه مغاير...

أمّا إن كانوا ضعفاء، والآخرون أقوياء، نرى غالبيتهم يتحدثون عن حرية المعتقد، وإن بدأت المشاحنات نراهم يتحدثون عن الرحمة والأخوة بين المسلمين، وإن بدأت الحرب ترى الضعفاء ينفون أي علاقة لهم بما في كتبهم وعلى لسان علمائهم وزعمائهم والمتعصبين، ويصير المتعصبون لا يمثلونهم.

هذه ليست حالة المسلمين فقط، بل هي حالة كل المجتمعات! التي تنبري للتميّز عن الآخرين والتعالي والتكبّر حين تملك القوّة، وتتواضع حين يكون الأخرون أقوى منها.

نرجع لموضوعنا، حيث قلنا أن القرآن عرض بعضا من حوادث حروب الرسول من جانبها الديني، لأنه كتاب ديني لم ولن يدخل في حروب الخلافات غير الدينية التي يعتبرها كلّها

إجرام، كالخلافات على الموارد الطبيعية مثل مصادر الماء والأراضي الزراعية والمعادن والنفط و... هذه أمور يجب حلّها بالتراضي بين الناس، والاحتكام للعقل والمنطق... وليس بالحروب، نقطة انتهى، ولا معنى لكلام القرآن عن تفاصيلها.

أمّا كلام القرآن عن الحروب، فسببه أنه كتاب إلهي، من المفروض أن يكون كلامه من مستوى إلهي، وأن لا يكون فيه كلام من مستوى بشري "إجرامي"، وهو ما تراه في كلام السياسيين والحكّام عبر التاريخ الدموي للبشرية بخوضهم الحروب والنزاعات لأجل السلطة والمال والسيطرة على الموارد.

هكذا ترى سبب كل كلام القرآن عن القتال، لتبرير سماحه تعالى للمؤمنين به بأن يقتلوا الآخرين، والسبب هو أن الآخرين يقومون بأعمال عدائية ضد المؤمنين، لأنهم مؤمنين.

لنفهمها بتصوّر أهل مكّة يطردون الرسول ومن معه لأنه من بني هاشم وقد شكّل حزبا ضد سلطة الكفّار من بقية العائلات، والكفّار أعلنوا عداءهم له لا على أساس ديني، بل فقط لأنه ينازعهم على السلطة، وهكذا حاربوه ومن معه، وصادروا بيوتهم التي في مكّة...

لو كان الأمر كذلك، لن ترى في القرآن أي كلام عن هذه الحروب، لأنها ليست دينية، بل خلافات بين الناس ولا علاقة للإيمان بها، وهذا لا يعني أنه تعالى يسمح للناس بالاقتتال على الموارد الطبيعية والسلطة و... بل يعني أنه لا صبغة دينية لهكذا قتال.

بعكس ما هو شائع من تحويل الكثيرين لأي خلاف إلى خلاف ديني، ترى القرآن لم يتطرّق نهائيا إلى هكذا موضوع، فاصلا بشدّة بين ما سببه اقتتال بسبب الإيمان، وبين كل الأسباب الأخرى، راجع في ذلك كل كلام القرآن ولن تجد فيه أي شيء غير ذلك.

هل يسمح القرآن للمؤمنين بقتال الآخرين لسبب غير ديني؟ بالطبع يسمح، آمرا فقط بقتال المعتدين، ولكنها لن تكون حربا دينية، ولذلك لا ترى أي كلام قرآني عن غزوة تبوك من ناحية الكلام عن العدو، بل كان الكلام عن تخلّف بعض المؤمنين عن القتال، ويمكنك مراجعة سورة التوبة لترى ذلك، حيث في بدايتها كلام عن المشركين المعادين وإنهاء العهود "معاهدات السلم" معهم، وإبقاء العهود مع الكفّار الذين من قبل لم يصدر منهم أي عمل عدائي...
أما في القسم الثاني من السورة، نجدها لا

تتحدّث عن الطرف المقابل "الروم"، لأن الروم لم يعلنوا العداء للمؤمنين بسبب إيمانهم، بل بسبب الصراع على الأرض وفرض السيطرة، وتسمية هذا العمل العدائي قرآنيا بالجهاد في سبيل الله، كما ورد في السورة، لا يحوّل الصراع إلى ديني، بل إلى خطر على المؤمنين من عدو لا يأبه بعقيدتهم وتدينهم، ولكنه يريد السلطة عليهم وعلى الأرض.

لو لم تصل أنباء إلى الرسول(ع) عن حشد الروم لجيش للهجوم على المسلمين "بعد حادثة مؤتة"، لما بادر الرسول بأي عمل عدائي ضدّهم، ولكن للأسف هكذا هي مجريات تاريخ البشرية، حيث الثقة شبه معدومة بين المجتمعات، وكل واحد منهم يؤمن بأن الآخرين إن صاروا أقوياء، فسيهجمون عليه... لذلك يبادرهم بالهجوم!

هذه ليست عقلية النبي محمّد(ع) ولا تشاريع القرآن، إنما هي عقلية الناس بغالبيتهم "كما يبدو من التاريخ"، وبناء عليه استمرّت سيرة البشرية تنطبق على المسلمين وجيرانهم بالحروب الاستباقية "من المسلمين ومن جيرانهم" لاعتقادهم بحتمية قيام الآخرين بعمل

عدائي ضدّ الدولة الإسلامية التي صارت محطّ أنظار الجميع...

هذا البحث التاريخي عن أسباب حروب المسلمين يطول ويطول، نختصره بقراءة القرآن من خلفية قصده بالأمر بالأعمال العدائية للمؤمنين حصرا ضد الآخرين المعادين. نضع هذا في بالنا وسنرى قرآنا يختلف عن الذي كنّا نعتقد به "نشر الدين بالسيف" وأمّا ما يقولونه عن نسخ الآيات التي نستشهد بها هنا لتثبيت وجهة نظرنا، يكفيك أن تعلم أن القائلين بنسخ الآيات التي نذكرها هنا، هم عادة لا ينكرون ظاهر معناها الذي يؤيد ما نقوله، ولكنهم يلغون مفعولها بقولهم أنها منسوخة "ملغية" بآيات أخرى تأمر بقتل وأسر وتشريد الكافرين حتى لو كانوا مسالمين. لقد قرأوا القرآن بهذه العقلية ولذلك لم يروا سياق الآيات التي تحيط بالآيات الآمرة بقتل الآخرين أنها كانت حصرا تتحدّث عن المعادين وليس عن المسالمين.

المسلمون "مثل غيرهم" مشحونون بفكرة الخوف المستمر من أي قوّة مجاورة، لأن التاريخ يثبت لهم بأنهم إن لم يبادروا هم بالهجوم لإخضاع الأقوياء المجاورين، سيقوم

الآخرون حتما بالهجوم حتى لو أعلنت لهم وأقسمت بأنك لن تهاجمهم، هي هكذا سيرة البشرية التي لا مفرّ منها، حيث الذي يملك القوة على الهجوم، لن يردعه أي شيء عن التسلّط على الآخرين حتى لو كانوا مسالمين، من هذه العقلية، فسّر المسلمون القرآن، ناسخين الآيات السلمية، وعليه جرت سيرة غالبية حكّامهم...

لاحظ حروب الرسول ضد أهل الكتاب "اليهود، والروم المسيحيين"، في البداية تسالم وتعاهد الرسول مع اليهود في المدينة، ولكنهم خانوا وتوطؤوا مع الكفّار أثناء حصار المدينة فيما يعرف بحرب الخندق، الذي حفره المسلمون من جهتهم، وأمّا من الجهة الثانية من المدينة، كانت أحياء اليهود، الذين عاهدوا المسلمين أن لا يسمحوا للكفّار بالمرور... لكن تبيّن فيما بعد أنهم خطّطوا بالتنسيق مع الكفّار بالهجوم على المسلمين واستهداف قتل الرسول محمّد(ع)... عندما صاروا معادين، حاربهم الرسول(ع)، ولكن في حالة الكفّار المعادين يمكن حقن دمائهم "تركهم أحياء" إذا أسلموا، أمّا أهل الكتاب، فقد اعتبرهم تعالى من المنتمين لدينهم، ولم يأمر المسلمين بحقن

دماء أهل الكتاب بإجبارهم على الإسلام، لذلك كان الحلّ البديل هو الجزية، ضريبة ثقيلة جدا يدفعونها للمسلمين حتى لا يبقى لديهم فائض مالي لاستخدامه بحرب ضدّ المسلمين.

تجد في سورة الأحزاب كلاما وافيا عن معركة الخندق وإجلاء اليهود... راجعها إن أحببت.

لن تجد في القرآن كلاما عن حروب استباقية مبنية على النوايا، لا ضد الكفّار ولا ضدّ أهل الكتاب، هذا واضح وصريح في سورة الأنفال التي بكل وضوح ميّزت بين كفّار معادين...

﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ (56) فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ (57)﴾

ونبّهت من القيام بحرب مبنية على النوايا، بل يجب أن تكون مستندة على الدلائل والوقائع، لدرجة الصراحة بأن عقلية انعدام الثقة، وإن كانت عقلانية بحسب تاريخ البشرية الذي يثبت بأن القوي لن يسالم، رغم ذلك يأمر تعالى رسوله بالاستعداد دوما لأي خيانة، وأن لا يبادر بحرب مبنية على النوايا، حتى لو أدّى ذلك إلى احتمال المفاجأة والمباغتة...

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ (58) وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ (59) وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (60) وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (61) وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ (62)﴾

حتى مع احتمال وجود خديعة، لا دليل واقعي عليها، ممنوع الابتداء بالحرب. هذا هو دينه تعالى الذي لم يعجب غالبية المسلمين المشحونين بسيرة تاريخ البشرية: إن لم يخضع الآخرون لك، فهم سيقومون بإخضاعك، إذا بادر وأخضعهم طالما تستطيع، وانسخ الآيات القرآنية التي تنهى عن ذلك، واعط اسما ربّانا للآية التي نسخت كل شيء سلمي في القرآن: آية السيف.

﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا

الزَّكَاةَ فَخَلُّواسَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾
[ سورة التوبة: 5]

انتزاع آيات القتال من سياقها الدفاعي التاريخي، وتحويلها إلى دستور دائم للعلاقة مع الآخر، هو جناية على النص القرآني قبل أن يكون جناية على الواقع وتزوير تاريخ حروب النبي محمّد(ع). الحرب في الإسلام لم تكن يوماً أداة "تبشيرية" قسرية، نشر الدين بالسيف، بل كانت ضرورةً لرد العدوان وحماية حرية الاختيار.

## تركيز الرسول على إيمانه وعمله الصالح لنجاته بنفسه من النار

نرى القرآن يلفت انتباه نبيّه محمّد(ع) مرارا وتكرارا للتركيز على نفسه أولا للنجاة من النار، وثانيا العمل على نيل درجة عالية في الجنّة، كما تقرأ في الآية 79 من سورة الإسراء:

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾

صلّي في الليل نافلة "مستحب وليس واجبا" عسى: من المرجّح، أن يبعثك ربك مقاما محمودا، فتعود إلى الحياة في الآخرة ويكون

لك درجة عالية في الجنّة. نفسّر كلمة "عسى" بالمرجّح غير الأكيد، كما ورد معناها في كل استعمال القرآن، لأن النبي محمّد(ع )لا يزال حيّا ويخاطبه القرآن، ويمكنه تغيير إيمانه أو سلوكه، لذلك لا ترى القرآن يعده (ع) بالجنّة المضمونة مهما فعل كصك على بياض، بل بشرط الاستمرار على الإيمان والاستقامة والاستغفار...

نرى القرآن أيضا مرار يخبره(ع) بأنه لم يتكلّف بوظيفة الرسول ليتعرّض للمشاكل، على أساس واحد مشترك عقلاني من المفروض أن يكون هو المنتشر بين الناس، حيث الأساس أن الإيمان مشكلة بين العبد وربّه، مهما كان الربّ الذي يعبده، ولا علاقة للناس بهذه المسألة، وحين يهدّد القرآن بالعذاب الشديد للكفّار والمشركين، تجده في نفس الوقت لا يشرّع لنا أي علاقة بالمسألة، لأنها بين العبد وربّه الذي لعنه في الدنيا والآخرة، وسيرميه في أشدّ العذاب في جهنّم... ولكن لا دخل للآخرين ولا علاقة لهم بهذه المسألة، هم لهم علاقة بما يفعله الكافر معهم وليس بما يفعله بإيمانه، هم يبرّونه ويقسطون إليه، مهما كان نوع كفره طالما هو مسالم معهم.

بناء عليه، ليس من المفروض أن يشقى الرسول محمّد(ع) حين ينقل رسالة الإله للناس، حيث وظيفة الرسول نقل الرسالة فقط، والجدل بالتي هي أحسن ليوضّح للناس ما التبس عليهم من شؤون العقيدة والشريعة الإلهية، وليس من المفروض بهكذا وظيفة تسبيب الشقاء لحامل الرسالة، لأن الرسالة تتضمّن خبر حصرية مشكلة الإيمان بين العبد وربّه، وهذا بلاغ من ربّ العبد، ولا علاقة للناقل للبلاغ بالموضوع، وليس من المفروض أن يؤذي الناس ناقل الرسالة "المسالم" الذي يعرض عليهم الإيمان الحقّ ولا يفرضه عليهم، ومثلما هم لا يحقّ لهم منع الرسول ومن آمن به من الاعتقاد بما يشاؤون، مثل الاعتقاد بالتوحيد والآخرة... أيضا ناقل الرسالة والمؤمنون برسالته، لا يحقّ لهم منع الآخرين من الاعتقاد بما يشاؤون.

الشقاء من التعرّض للإهانات والسخرية، والأذية بالكلام وجسديا، والتهديد بما هو أكثر من ذلك، وبالقتل! لمجرد قيام الرسول بتبليغ الرسالة، ليس شيئا مستهجنا إذا كان الرسول مأمور بفعل هذا مع الآخرين إذا لم يؤمنوا.

بعبارة أبسط وأصرح: إن كان دينك يأمرك بإجبار الآخرين على الإيمان به، فما رأيك إذا كان الآخرون دينهم أيضا يأمرهم بإجبار الآخرين على الإيمان به؟

هكذا أفكار لا عقلانية، هي شريعة الغابة، حيث القوي يفرض ما يريده، ولا لوم عليه لأنها القاعدة المتفق عليها ضمنيا بين الجميع. لكن ترى الاعتراض من الضعيف، الذي ضمنيا يؤمن بشريعة الغاب، ولكن حاليا وبسبب ضعفه، لا يريد تطبيقها على نفسه.

خذ مثالا عن بعض المسلمين الذي يعيشون في بلاد طابعها مسيحي أو علماني، وهم يعترضون على التشريعات التي لا تسمح لهم بممارسة بعض تفريعات دينهم، بينما في بلدانهم ذات الطابع الإسلامي، ترى المتدينين يفرضون تشريعات مانعة بشكل ما للآخرين بممارسة دينهم! يريدون رفع الآذان في باريس ولندن وروما... ومستحيل عليهم السماح بدقّ أجراس الكنائس في مكّة والقاهرة وبغداد...

القرآن اعتبر بالعقلانية "الحكمة" أن حرية المعتقد ركن أساسي، ومشكلة فردية للعبد مع ربّه، حيث ناقل رسالة الربّ مثله مثل المنقول

لهم الرسالة كما نرى بشكل واضح وصريح من الآيات التالية من سورة الأنعام:

﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (161) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (163) قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (164)﴾

أيضا هذه الآيات التي بمجموعها تشير لما قلناه:

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [ البقرة: 256]

﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ ﴿إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾ [طه:2 و 3]

نلاحظ الآية التالية كنموذج يتعارض تماما مع الآراء المنتشرة بيننا، حيث بعض المسلمين يعتبرون إيمان النبي محمّد(ع) شيء مفروغ منه وتحصيل حاصل، ولم يفكّر (ع) فيه ولا فيما

ينزل عليه ليحلّله ويقتنع به، على أساس أن نزول الوحي عليه، هو لوحده شيء يجعله مؤمنا من الدرجة العالية، أو على أساس أنه مخلوق ليصير نبيا بشكل إجباري.

هذا كلّه غير صحيح ولم يقله القرآن بل قال عكسه تماما!

﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [البقرة: 147]

﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [يونس: 94]

﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [الأنعام: 114]

المماراة باستعمال القرآن تعني: معلومة صحيحة حتما، يجري النقاش حولها.

للأسف فسّروا هذه الآيات وأمثالها على معنى توجيه الكلام للنبي محمّد(ع) ولكن المقصود منه نحن أن نسمع الكلام، كالمثل الشعبي: أحاكي الكنّة لتسمع الجارة. هكذا حرموا الآيات

من معناها الحقيقي الذي تتوجّه به للنبي وللسامع على السواء.

نزول الوحي عليّ أو على أبي جهل، لن يغيّر فينا أي شيء، ولن يجعلني مؤمنا أكثر مما أنا عليه، ولن يجعل أبا جهل مؤمنا، لأن وحي القرآن عبر الملاك هو مجرد وصول كلمات إلى الذهن مباشرة بدون مرورها عبر الأذن، فقط لا غير، ولا تختلف عن قراءتها عن ورقة أو سماعها عبر الأذن، أمّا لو نزل هذا الوحي على كافر، فسيجنّ جنونه مما يسمعه، ويعتبره خللا في الذهن أو سحرا أو وسوسة شيطانية أو أوهام... وسيعمل بشتى الطرق للتخلّص منه.

نتحدّث عن ذلك لنرى أن الإيمان شيء خاص بكل إنسان بحسب قناعاته، حتى النبي محمّد(ع) ذات نفسه لا يختلف عن الآخرين، علما أنه الأشدّ إيمانا، وبعد قليل سنرى أهمية هذه النقطة.

إذا، الإيمان شيء لا يورّث، ولا يمكن الإجبار عليه ولا بأي طريقة، ولا معنى لإجبار الآخرين عليه، بل هو القرآن يخاطب نبيه مثلما يخاطبني، يقنعه بالحقّ مثلما يقنعي، بل يأمره بترك القرآن ونبذه والكفر به، إذا وجد كتابا أهدى منه؟! هل تصدّق هذا؟

﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [القصص: 49]

هذا هو الإيمان، معلومة وصلتك، تأمّلت فيها أو درستها أو أعجبتك... وجدتها حقّا "أو أعجبتك ولاءمت أفكارك"، فآمنت بها. بناء عليه يخاطب سبحانه الجميع في قرآنه عبر رسوله ليبلغهم كلامه تعالى، حيث الحجج الأصلية على صحّة الإيمان الذي يطرحه القرآن، موجودة حصرا في القرآن، ويجب على الرسول الالتزام بما ورد في القرآن عندما يحاجج الآخرين.

بناء عليه، أنت تؤمن وأنا أكفر، أنت تدخل الجنّة وأنا أدخل النار ولا علاقة لك بي، ولم يوظّفك سبحانه لتجعلني مؤمنا غصبا عنّي، عليك بنفسك فقط، وعليك البلاغ بكلام القرآن فقط وفقط، وأي كلام آخر غير القرآن، من عند أي كان، فهو على الرأس والعين ولكنه يمثّل الذي قاله، ولا يمثّل الإله سبحانه إلا كلام الإله.

كيف يكون هناك معنى لفكرة إجبار الآخرين على الإيمان بما أنا أؤمن به، وأنا شخصيا إيماني درجة ضعيفة أمام إيمان الأنبياء، وأنا شخصيا يتقلّب إيماني نازلا إلى الحضيض تارة ومرة يرتفع، وأحيانا تجد أناس يغيّرون عقائدهم كليا أو جزئيا... أمام هذه الحالة، تصير

الناس كاللعبة بين يديك، ليؤمنوا بما تؤمن أنت به الآن، علما أنك قد تكون لديك شكوك وبالكاد تؤمن، وبعد مدة تتغيّر أفكارك وعقائدك، وعلى الناس أن تؤمن من جديد بما صرت تؤمن به!

أيضا فكّر فيها من الناحية المقابلة، حيث إنسان ما يؤمن بعقائد متعارضة مع عقائدك، وأيضا يؤمن بإجبار الآخرين على عقائده! يعني هو الإيمان بأساسه يتضمّن حربا مفتوحة ليعمل الناس على إجبار بعضهم البعض بما يؤمنون به! ما هذه الترهات التي لم يقلها القرآن، وليس من المفروض أن يؤمن بها أي أحد لأنها لا عقلانية، بل قنابل قابلة للانفجار عند اللمس، وأي دين يقولها فهو دين بشري إجرامي غبي، لا يرى مبتدعوه أبعد من أنفهم.

أيضا نتساءل عن أساليب الكذب والخداع والمبالغة... التي لا يرى البعض ضررا من استعمالها لإقناع الآخرين بدينهم أو مذهبهم! حتى أنهم يقولون: لو اكتشف فيما بعد أنه تعرّض للكذب حتى آمن، لا مشكلة، نحن حقّقنا هدفنا بجعله مؤمنا، وبعد ذلك سيجد الكثير من الأمور الجيدة في ديننا "ومذهبنا"، ولن يضرّ معرفته بأسلوب الكذب الذي جعله مؤمنا؟!

دين يحتاج لأساليب الكذب والمبالغة والترغيب والترهيب... حتى يؤمن الناس به، هو دين من اختراع الناس، وليس دين الإله القرآني، حيث تجد الحجج من مستوى راق إلهي، والشفافية، لدرجة أن الإله ذات نفسه يسأل المشركين عن الطريقة التي علموا بها بوجود آلهة غيره، وهو الذي يرى كل شيء في السماوات والأرض لم يعلم بذلك؟ بكل شفافية يسأل؟

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: 18]

أيضا وأيضا، لن نجد في القرآن كلاما ولا بأي شكل عن تحميل الرسول مسؤولية كفر الناس، بل بالعكس سنجد أمره بتبليغ الكلام الإلهي، وإن لم يؤمنوا، فشأنهم مع خالقهم ولا علاقة لأي مخلوق معهم.

﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: 54]

﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان: 43] هذه الآية تسأل

الرسول(ع): هل أنت مدير مدرسة أو مدير كلية ومن مسؤوليتك نجاح كل الطلاب؟ هل موكل إليك جعل الناس مؤمنين؟ لا، بل موكل إليك التبليغ فقط.

﴿وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الرعد: 40]

## الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

المعروف والمنكر كلاهما يتحددان بما تعارف عليه الناس أنه خير "معروف"، وبما تعارفوا عليه أنه منكر "ينكرون يستهجنون فعله". كلاهما وصف لشؤون البشر بين بعضهم البعض كتشريع قرآني آمر لنا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هكذا ينحصران تشريعيا بالشؤون التي بين الناس، من أفعال سيئة أو حسنة تؤثّر عليهم، كبرّ الوالدين وحسن معاملة الزوجة والأولاد والإخوة والجيران والعمّال... وإعطاء الناس حقوقهم... وصولا إلى احترام أعراف المجتمع بما لا يتخالف مع أساسيات القرآن.

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ

الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: 110]

أمّا فيما يتعلّق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من ناحية الإيمان، تنحصر المسألة بعنوان التبليغ بالإنذار والتحذير والتبشير، وبالحجج الإلهية. كل القرآن يقول ذلك ولا شيء سواه، لا شيء تشريعي لنا "شيء نحن نفعله مع الآخرين" أبدا بتاتا، غير مسألة قتال الكافرين المعادين، وإجبارهم على الإسلام حتى ينجيهم من الموت، وتكسير أصنامهم... هؤلاء فقط وفقط.

يعني، قرآنيا، لا يشمل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أي عمل نقوم به مع الآخرين فيما يتعلّق بنوع إيمانهم إلا: تبليغ الإنذار والتحذير، والتبشير. فقط لا غير.

موضوعنا هنا عن إجبار الآخرين على الإيمان بالدين أو المذهب، أحيانا تحت ذريعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويشاركه في الغرابة تشاريع الناس لإجبار الآخرين على القيام بالواجبات الدينية أيضا تحت عنوان أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر!

تطوّر هذا الموضوع تاريخيا بشكل مشابه لمسألة كرامات ومعجزات النبي محمد(ع)، التي في الأحاديث التي تاريخها قريب من وفاته(ع)، لن تستطيع إيجاد عشر كرامات، ولكن بعدها بتاريخ قليل، تجد العشرات! بعدها بتاريخ أبعد تجد المئات "التي يبدو واضحا اختراعها"! راجع في ذلك كتاب سبات العقل في الاسلام.

نفس الشيء لتشاريع العقوبات على ترك الواجبات وفعل المحرمات التي من نوع الشأن الشخصي غير المؤثّر على الآخرين، كترك الصلاة، وترك صلاة الجمعة جماعة في المسجد، الإفطار في شهر رمضان في النهار جهرا، شرب الخمر، حلق اللحية، الحجاب للمرأة... لن تجد في الروايات ذات تاريخ "نقل بسند" قريب من وفاة الرسول محمّد(ع)، وفيه جلد أو ضرب أو تأنيب... على أي من الأفعال التي لها طابع شخصي ولا تأثر لها على الآخرين حتى لو كانت من المحرمات ومن نوع ترك الواجبات، لن تجد.

حتى أنك لن تجد قطع يد سارق في زمن النبي محمّد(ع)؟! ولا رجم لزانية؟! ليس لأنه لم يكن بين المسلمين سارقين وزناة، ولكن شروط

قطع اليد كثيرة "أن لا يكون محتاجا للأكل أو للمال الذي سرقه، أن يدّعي عليه صاحب المسروقات، أن..."، ويمكن بسهولة تفادي تنفيذ الحكم وإرضاء المسروق منه حتى لا يدّعي على السارق... وتخويف السارق بقطع يده بعدما أمنّا له احتياجاته... وفي الزنا يحتاج لأربعة شهود رأو بأم العين الدخول...

الغريب وجود روايات عن صحابة سكروا وضربوا بعضهم البعض..."أكثر من مرّة"، ولم تكن حادثة سريّة بل تحدّث عنها الناس... ولم يجلد النبي(ع) أحدا منهم!؟ ولا يخطر ببالك أن حرمة الخمر لم تكن نزلت بعد، فهذا مفهوم خاطىء أساسا، وأختصر لك المسألة بتذكّرك لحرمة السرقة والنصب والاحتيال والزنا وشهادة الزور وأكل حقوق الناس... كل هذه الأمور لم ينزل فيها قرآن في مكّة قبل الهجرة، فهل كانت حلالا؟ أو من فعلها لا عقاب عليه لأن القرآن لم يذكرها؟ لا، لأن كل هذا الدين مبني على ما جعله تعالى فينا من قدرة على تمييز الشرّ من الخير، وليس مبنيا على تعلّم الشرّ والخير من الكتب أو الناس، والسوء الناتج عن الخمر من ضمن المعلوم شرّه، وهو فعل موصوف بالسوء حتى بدون نزول قرآن.

تطوّر مع الزمن كل التشريع الإسلامي ليصير منحرفا عن أساسيات القرآن "رجم الزانية كمثال"، ومتزمتا "متشدّدا" أكثر فأكثر "لزوم المرأة بيتها ومنعها من العمل كمثال، وإذا خرجت من منزلها توجيب القناع عليها وارتداء كفوف على اليدين".

تطوّر الفقه حتى دخل في تفاصيل مرهقة للمكلّف الذي يظنّ وجوب معرفتها والالتزام بها "كغسل الوجه للوضوء مع التأكد من وصول الماء إلى الجفن والرموش وحول الأذنين...".

يلحق بذلك تطوّر التشريعات تحت عنوان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لدرجة إجبار الناس على الصوم والصلاة ورخي اللحية وحفّ الشوارب... وتطوّر عناوين التعزيرات "أحكام العقوبات أقل من الحدود: أقل من ثمانين جلدة، والقتل"، لتشمل: جلد على حلق اللحية، على ترك صلاة الجمعة، على الإفطار عمدا في شهر رمضان، على المرأة السافرة، على شرب الخمر...

هكذا اختلط مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بانحصاره قرآنيا بالمعاملات بين الناس، ليشمل إجبار الآخرين على اعتناق الإسلام، بل على القيام بالواجبات الدينية، بل

وعلى الإيمان بمذهب ما! بينما هو لتشريعات معاملات الناس مع بعضهم البعض فقط لا غير.

## مرونة تشاريع القرآن التفصيلية، مقابل التزمّت

إذا كان القرآن لا يحوي واحدا من الألف من التشاريع التي في الكتب، التي يقولون أنها مشتقة من القرآن، ولكل مذهب فقهه، بل لكل عالم دين في كل مذهب رأيه الخاص، هنا نسأل عن معنى إجبار الآخرين على الإيمان واتباع الشريعة، أي شريعة؟ شريعة أي إنسان؟

أكبر مظلومي تشريعات القرآن هو: هامش المرونة المتروك عن قصد. لأن القرآن اختصر التشريعات بعرضه لأساسيات الحقّ والباطل والصلاح والفساد، مع تفاصيل قليلة جدا، تاركا كل بقية التفاصيل التشريعية لكل ما يحتاجه الناس، ليشرّعوه هم على قواعد التوجيهات القرآنية القليلة جدا "الأساسيات"، وعلى مبدأ يحمل هامش مرونة واسع جدا ليناسب كل زمان ومكان ومجتمع، تحت عنوان: ما ينكره الناس ويعتبرونه سيئا، وما تعارف الناس على حسنه.

خذ مثلا زواج الفتيات بعد البلوغ الجسدي، "قرابة التسع سنين"، حيث لا يوجب الإسلام تزويجهن بهذا العمر، ولكن يجيز، وللناس بحسب زمانهم ومجتمعهم أعراف تتغيّر مع الزمن، وبالنسبة لمجتمعات أخرى، فليفعلوا ما يرونه مناسبا، ليحدّدوا سنّ الزواج إن رأوا ذلك مناسبا، وهذا شيء تراه متغيّرا في كلّ المجتمعات عبر تاريخها حتى غير الاسلامية، ففي مجتمع ما وزمن ما، يرون وعيا جنسيا مبكرا عند الفتيات، فيتعارفوا على فكرة قبول تزويجهن باكرا، بعدها يرون مشاكل ناتجة عن الزواج المبكر، فيتعارفوا على تأخير الزواج.

مما قبل عام 2000 وبعده نلاحظ في بعض الدول ذات الغالبية المسلمة، صار دارجا علنا مصاحبة الفتيات، والسبب قلّة حالات الزواج، ووصول الكثير من الفتيات إلى سن متأخرة بلا زواج، عنوسة "فوق الثلاثين والأربعين سنة". وصار متعارفا في بعض أحيائهم المصاحبة بلا عقد زواج، أمام هذه الحالة أفتى العلماء بعقد زواج مؤقت شرعي: مسيار، منقطع، متعة... وهكذا تماشوا مع هذا العرف الجديد، ووجدوا في أساسيات القرآن تشريعا له، بينما في السابق كان هذا منكرا.

تلك المجتمعات صار لديها عرف خاص بها، وفي نفس الوقت لا يزال منكرا في مجتمعات أخرى! هكذا ترى أهمية هامش المرونة الذي تركه القرآن ليريح الناس في تسيير شؤون حياتهم، ولكننا لم نفهم ذلك، وأصررنا على وضع قواعد وتشريعات ثابتة لا تتغير، ويجب على كل المجتمعات الالتزام بها في كل الأزمنة! بينما الأصل هو الأساسيات القرآنية، والتفاصيل متروكة لما يراه الناس مناسبا، لما يرونه معروفا أو منكرا، بحسب كل زمان ومكان.

أمام هذه الحالة، هل يوجد معنى لإجبار الناس على تشريعات "تفصيلية" محدّدة؟ طالما التشريعات "التفصيلية" متغيّرة!

خذ مثالا سهلا بسيطا عن تحديد قيمة ديّة المقتول، والتي تركها القرآن عن قصد لأنه من غير المعقول أن يجبر كل مجتمعات الناس في كل الأزمنة على نفس القيمة، حيث في مجتمع فقير ثمن البقرة "كديّة محدّدة" مستحيل تجميعه، وفي مجتمع غني ثمن البقرة من توافه الأمور. ومثله الزكاة التي لم تتحدّد قيمتها قرآنيا ولا ممّاذا...

شاهدنا هنا أن عنوان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لم يتشوّه فقط فيما يتعلّق باستعماله لإجبار الآخرين على الإيمان، وعلى الالتزام، بل تشوّه معه تشريعات أخرى صارت بعيدة عن القرآن، وصار الناس ملزمين بها مع أنها من ضمن هامش المرونة المتروك عن قصد.

## الجدال بالتي هي أحسن

ماذا نتذكّر من القرآن عن الجدال والحوار؟ هل نتذكّر: جادلهم وإن لم يقتنعوا إضربهم واجلدهم واقتلهم؟

لا، لأنه فعلا كتاب من مستوى إلهي راق، تجد فيه الجدال بالحسنى، ومقابل الرؤوس الصلبة المتيبسة، قل: سلام.

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [ سورة النحل: 125]

هل هذه الآية منسوخة بآية السيف، لتصير: جادلهم وإن لم يؤمنوا أقتلهم؟!؟! هل هكذا يكون الكلام الإلهي؟!

﴿ وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [ الزخرف:88 و 89]

هل هذه الآية منسوخة لتصير: قوم لا يؤمنون، فاقتلهم؟

إن كانت الأوامر الإلهية الجدال بالحسنى، وإنهاء الجدال بالصفح والسلام، عن وعلى الذين كفروا به تعالى، عندها كيف يكون حكم المسلمين المخالفين في المذهب القتل؟!

لا بد من وجود عوامل عديدة أدّت إلى هكذا تشريعات إجرامية، وكلها صحيحة برأي المعجبين بها! والبداية مع مسلمين مجرمين يهوون القتل والسلب والاغتصاب... من عامّة الناس وصولا إلى ما يسمّى بعلماء دين، نعم، بعض هؤلاء المجرمين يوصفون بأنهم من علماء الدين الإسلامي!

هؤلاء تحدّث عنهم القرآن مرارا وتكرارا بوصفهم منافقين وفاسقين، خذ هذه الآيات من سورة البقرة كمثال، واقرأها على مهل أرجوك:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ (8) يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا

وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ (9) فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ (10) وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ (11) أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ (12) وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ (13)﴾

لاحظ ادعاء الصلاح، وهو نفس الذي تسمعه من المتعصبين لمذهبهم المدّعين أنهم على الحق، والمجددين للدين، ولولاهم لانتشر الفسق والفجور والنفاق... بينما هم المفسدون بمذهبيتهم، وبالتفرقة بين المسلمين...

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾[ البقرة:204، 205، 206]

لا نفع من الكلام مع هؤلاء المجرمين، لأنهم أساسا لم يؤمنوا بهذا الدين، بل جعلوه متناسبا مع رغباتهم وأهوائهم، ونشروا الفساد بين

المسلمين بالطائفية والمذهبية والجماعات المنغلقة، يأمرون بالقتل والذبح والسبي... لمسلمين!؟

نسخوا كل آيات القرآن التي لا تناسب إجرامهم، واستبدلوا الجدل بالتي هي أحسن بالقتل؟

هؤلاء لا يحترمونه تعالى بل لا يؤمنون به، ويعتبرون أنفسهم أربابا حين يتكلمون بشؤون هي بالأساس من الشؤون الإلهية، لأن محاكمة الناس على إيمانهم، شأن إلهي محض، وهو سبحانه أغلظ القول للكافرين والمنافقين والفاسقين، متوعدّا لهم بعذاب شديد، ولكن لا علاقة لنا نحن بذلك حتى نصدر أحكاما نحدّد فيها من سيدخل الجنّة ومن سيدخل النار.

## الفرقة الناجية

بدعة ما بعدها بدعة، ولا يعترض عليها أحد من المسلمين! بل تنال إعجاب الجميع لأنها تدغدغ شعور الفوقية والتميّز على الآخرين.

الأحاديث المنسوبة للرسول(ع) والصحابة والتابعين عن الفرقة الوحيدة الناجية، ما مدى صحّتها؟ وهل تتماشى مع القرآن أم تعارضه؟

أليس القرآن هو الأساس لدين الإسلام! إذا أين كلام القرآن عن الفرقة الناجية؟ تعالوا لنبحث عن الفرقة الناجية في القرآن:

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: 103]

لا ليست هذه، لأنها تأمرنا جميعا بأن نكون مجتمعين ولا نفرّق بين بعضنا البعض.

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: 159]

لا ليست هذه لأنها تنبهنا من الوقوع فيما وقع فيه الذين من قبلنا من المنتسبين للدين الإلهي الذين صاروا أديانا ومذاهب وطوائف وجماعات.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: 105]

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى

وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى: 13]

أين الفرقة الناجية إذا كان القرآن بالأساس يمنع من الفرقة؟ يعني إن كانت هناك فرقة، مذهب أو طائفة أو جماعة، تميّز نفسها عن المسلمين الآخرين، وهي الناجية، لأنها الوحيدة على الحقّ، أليس بالأساس قرآنيا ممنوع عليها أن تكون فرقة؟

لم أفهم كيف توجد فرقة مسلمة ناجية، والقرآن يمنع كل المؤمنين بدينه تعالى من آدم(ع) إلى يوم القيامة من فصل أنفسهم عن الآخرين؟! ربما مررنا على الآيات السابقة ولم نقرأها بتمعّن:

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى: 13]

ممنوع أن تفصل نفسك كدين مختلف عن الدين الذي كان عليه كل السابقين من المنتمين لدينه تعالى. كلنا من النبي نوح(ع)

ومن آمن معه، مرورا ببقية أولي العزم من الرسل ومن آمن معهم، وصولا إلى آخر رسول محمّد(ع) ومن آمن به، دين واحد.

لا، هذا غير صحيح، هناك فرقة ناجية واحدة من سبعين فرقة إسلامية، وهي الفرقة التي تنتمي إليها أنت، أليس كذلك؟ لا، لا بد من تفسير مستقيم لكلام القرآن حتى يتماشى مع الروايات التي تؤكّد على وجود فرقة واحدة ناجية.

كل فرقة من المسلمين لديها رواياتها التي تؤكّد أنها هي الناجية والبقية فرق ضلال!

ما هي الكلمات التي يمكن بها وصف هذه الحالة؟ الرصانة الفكرية، عمق المعرفة، الذكاء الخارق، الدراسة المعمّقة، آراء كبار العلماء الموقرين المدافعين عن الإسلام المحمّدي الأصيل...

الروايات التي نقلوها أيضا عن الرسول محمّد(ع) والصحابة والتابعين، فيها كمّ كثير مانع عن الفرقة، ويأمر بلزوم الجماعة، حتى أن بعض المسلمين يفتى بوجوب طاعة الوالي الفاسق الشارب للخمر القاتل للنفس المحترمة! حتى لا تنكسر عصى المسلمين

بالفرقة! أختصر لك ذلك بالنقل عن ابن كثير في كتابه البداية والنهاية، أثناء كلامه عن وقعة الحرّة التي كانت مجزرة لأهل مدينة يثرب بأمر من يزيد... مستعرضا مختصر كلام العلماء عن يزيد:

وقالواإنهكانمعذلكإمامافاسقا"الكلامعنيزيدبن معاوية"، والإمام إذا فسق لا يعزل بمجرد فسقه على أصح قولي العلماء، بل ولا يجوز الخروج عليه لما في ذلك من إثارة الفتنة، ووقوع الهرج وسفك الدماء الحرام، ونهب الأموال، وفعل الفواحش مع النساء وغيرهن، وغير ذلك مما كل واحدة فيها من الفساد أضعاف فسقه كما جرى مما تقدم "يقصد خروج أهل المدينة على يزيد والنتيجة قتل آلاف ضمنهم صحابة، واغتصاب نساء مسلمات"، إلى يومنا هذا. انتهى كلامه.

لكن مثلما فسّرت القرآن كل جماعة على نفسها بأنها هي الدين الأصيل وكل البقية صنعوا فرق ضلال، أيضا كل جماعة تستعمل الروايات للتأكيد على ضرورة ترك كل الآخرين لفرقهم والانضمام للفرقة الناجية، التي بالطبع هي فرقتهم.

كل فرقة من المسلمين تقول نفس الكلام بلا حرف زائد أو ناقص: نحن الفرقة الناجية، ولدينا آيات وروايات وأدلّة قوية على ذلك، وتدحض أدلة الآخرين الذين على ضلال، ويجب عليهم أن ينضموا إلينا حتى نعود كلنا فرقة واحدة ناجية، وهي فرقتنا نحن.

ما هي الكلمات التي يمكن استعمالها لوصف هذه الحالة؟

للأسف، نعيش في زمن لا ينفع فيها أي إعلان عن نبذ الفرقة والانتماء للاسلام، فلو قلت أنك لا تنتمي لأي مذهب أو فرقة أو جماعة، وأنك على دين القرآن، ولا تعترف بأي فرقة ناجية، لاتهموك بأنك تؤسس لفرقة جديدة؟ ويبدؤون بالأسئلة المذهبية ليحدّدوا مذهبك:

هل تقدّس الصحابة أم تسبّهم؟ وليس أمامك خيار آخر، كأن تقول: ليسوا مقدسين ولا مذمومين، بل لهم حرمة مثلما أحترم كل المسلمين. هذا الجواب غير مقبول، إمّا تقدّس وإمّا تسب البعض منهم!

ماذا تقول في آذنك؟ أشهد أن عليا ولي الله، أم تحذف حيّ على خير العمل؟ وليس أمامك خيار آخر كأن تقول: آذاني مثل آذن رسول

الله، ليس فيه الشهادة لعلي، ولا حذف لخير العمل. هذا جواب غير مقبول.

هل تتكتّف "تكفير" في الصلاة أم تسجد على قرص تراب؟

أي مذهب فقهي تتبع؟ وإذا أردت أن تعرف حكما شرعيا من تسأل أو لأي كتاب فقهي ترجع؟

وكما تعلم إن كنت ترى بعين الحقّ، الفرق الناجية هذه وتلك والأخرى، ليست على القرآن ولا على سنّة الرسول(ع)، كلّهم بدون استثناء، لديهم فتاوى وبدع مخالفة للقرآن.

يكفينا هذا المقدار عن بدعة الفرقة الناجية، لنرى أن فكرة إجبار الآخرين على الإسلام نتج عنه إجبار الآخرين على الانتماء للفرقة الناجية، ونتج عنه تشريعات ما أنزل الله بها من سلطان، تلك التشريعات تبيح دم وعرض المسلمين المخالفين مذهبيا!

## شرطة الإيمان وجنود الربّ

المفارقة أن دينه تعالى يدعو للمغفرة والصفح والرحمة والمحبة، ومن لم يؤمن بذلك، نقتله؟

حتى لو كان مسالما! لماذا؟ ما الفكرة من ذلك؟ هو لن يدخل الجنّة على كلا الحالتين، سواء آمن غصبا عنه ليبقى حيّا، أو رفض الإيمان وقتلناه، ونحن ماذا نستفيد من قتله؟

وظّف بعض الناس من شديدي الإيمان أنفسهم كجنود للربّ، ومحامين عن العقيدة، وأنصار للدين... ويظنون أنه لولاهم لانمحق دينه تعالى، لأنهم مجددو الدين، وهم الإيمان الحقيقي الصافي الحقّ. هؤلاء يريدون تطهير الأرض من كل الذين يخالفونهم في العقيدة، بوكالة توظيف من الإله!

لقد وظّفهم الإله لقتل المسالمين، لمجرد أنهم مخالفون لعقيدتهم!

أشعر بالإعجاب والقناعة بهكذا دين "أو مذهب"، يوصف بالسماحة والرحمة والمغفرة والرحمة والمحبّة، ويأمر بقتل المسالمين المخالفين في العقيدة، فعلا تشعر بأنه دين إلهي!

خلط هؤلاء بين غضب الإله على الضالين عقائديا، وكرهه لهم ولعنهم، وما سيفعله بهم من عذاب شديد، وهذه مشكلة لا علاقة لنا نحن البشر بها، لأنها مشكلة بين العبد وربّه،

خلطوا بين ذلك وبين ما شرّعه تعالى لنا نحن للتعامل معهم .لا يوجد في القرآن تشريع للتعامل مع الكافر المسالم سوى بالحسنى ومنع الزواج منه ومنع سماع تشريعات منه، فقط لا غير.

﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (8) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (9)﴾ من سورة الممتحنة.

﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: 221]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [التوبة: 23]

برّهم والقسط في جانب، ومنع الولاية بما يخالف الخير والصلاح، ومنع الزواج، فقط لا غير.

نقرأ الآية التالية بهدوء ونرى كيف فهمها أصحاب المذاهب الحقّة والفرقة الناجية وجنود الربّ:

﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: 5]

يجوز الزواج من أهل الكتاب وطعامهم حلال، كيف نفهم إفتاء البعض من علماء المسلمين بنجاسة جسدية لأهل الكتاب؟ يعني تتزوج من نصرانية، وتغسل يديك كلما لمستها، وإذا هي لمست الطعام صار نجسا؟ وإذا أنجبت لك ولدا، هل ولدك نجس! أو يرضع من أمّه لبنا نجسا؟

هل يجوز الزواج من أبناء الفرق الإسلامية الأخرى "الضالّة"، هل هم نجس؟

أساسا هذه الأسئلة كيف تنسجم مع جواز قتل المخالفين في العقيدة؟ سواء من أهل الكتاب أو من المذاهب الاسلامية الأخرى؟

أساسا أين تجد في القرآن عرض توظيف أو تجنيد لشرطة إلهية لإجبار الناس على الإيمان به تعالى؟ نعم هناك وظيفة قرآنية متاحة للجميع، أن يكونوا دعاة رحمة، وهو لم يأتِ ليجعل من المؤمنين "شرطة إلهية" تفتش في ضمائر البشر وتجبرهم على الإيمان، بل جاء ليجعل منهم "دعاة رحمة" يبلغون الرسالة السمحاء، ويتركون الحكم لله.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحج: 17]

## قاطعو تذاكر دخول الجنّة

تشعرنا أفكار وتصرفات بعض الناس ممّا يسمّى بعلماء دين ورؤساء أحزاب دينية، بأنهم موظفو تذاكر على باب الجنّة، هدفهم العلني العمل على ضمان دخول أتباعهم إلى الجنّة، بل وأحيانا يعملون على إرسالهم إلى هناك

بطريقة سريعة! وأيضا هدفهم إرسال الآخرين إلى النار بأسرع طريقة ممكنة! إن لم يقبلوا الانضمام لدينهم ومذهبهم لدخول الجنّة سلميا أو بالقوّة.

هذه الفكرة تأتي من تراث ديني لا قرآني، نراه منتشرا ليس عند المسلمين فقط، بل عند من سبقنا من أهل الكتاب، حيث القديسون يقفون على باب الجنّة لإدخال هذا وطرد ذاك إلى النار، وأحيانا لمجرد محبّتك لقديس ما يصير شفيعك، والتراث الديني يخبرك بأنك ستضمن دخول الجنّة بسبب ذلك، لأن القدّيس يعمل كقاطع تذاكر في الآخرة.

بشكل ما، نرى أفكارا وفتاوى مشتقة من هذه العقلية، حيث قد لا يصرّح الزعيم أو العالم الديني بأنه ضامن لدخول أتباعه إلى الجنّة، وقد يصرّح، ولكن أوامره ونواهيه مبنية على ذلك، ليصير ربّا صريحا، أو شفيعا، أو موظّف قطع تذاكر...

لسنا ننفي الشفاعة في الآخرة، وقد ورد الكلام عنها في القرآن مرارا، وأنها مشروطة برضاه تعالى، ولن يرضى سبحانه عن مشرك، أو عن قاتل، بشكل عام لن يدخل الجنّة فاعل كبائر السيئات، وتارك أهم الواجبات "كالزكاة".

ولكن ننفي ما يقوله بعض الناس عن الاكتفاء بمحبتهم لقدّيس ما، لتكون هذه المحبّة لوحدها، سببا لدخول الجنة، ونكتفي من القرآن بالآية التالية:

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: 28]

بعض هؤلاء "من علماء وزعماء" المؤمنين بفكرة قطع التذاكر لدخول الجنّة، يغسلون أدمغـــــة البســـطاء، والشـــباب المتحمّس، ويرسلونهم ليفجّروا أنفسهم في مساجد لمسلمين مخالفين لهم في العقيدة! ويعدوهم بالغداء مع رسول الله فورا بعدما يفجّر نفسه، أين؟ في مسجد. ليقتل من؟ مسلمين من طائفة أخرى. ماذا يفعلون في المسجد؟ يصلّون. والغاية؟ دخول المجرم القاتل إلى الجنّة في أعلى درجة مع الرسول، والخلاص من المفسدين في الأرض الضالين الأنجاس... المخالفين عقائديا حتى لو كانوا مسالمين.

بعض هؤلاء المجرمين يحمل صفة: عالم دين إسلامي. بعضهم يحمل صفة: قيادي إسلامي. هؤلاء موظفون منه تعالى لقطع تذاكر للناس لدخول الجنّة، فإن كان المقتولون أبرياء، لا

مشكلة، يمكن قتلهم لأن البريء يذهب إلى الجنّة!

هؤلاء وأمثالهم من المجرمين القتلة، أي قرآن يقرؤون؟

﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [المائدة: 32]

هؤلاء لم يفهموا أن القرآن حين تحدّث عن الرسول محمّد(ع) وغيره من الأطهار، لم يكن يسلّينا بقصص من التاريخ، أو عنتريات أبو زيد المهلهل، بل كان يرينا كيف يكون القادة، لنقتدي بهم.

أين قادة المسلمين وعلماؤهم من وصفه تعالى للقائد الرسول:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: 128]

حيث قراراته تأخذ بعين الاعتبار حاجات المسلمين، وأن لا يكونوا في حالة عنت

"مشقة أو معاناة"، لم يعش (ع) في بحبوحة والناس جياع، أو في القصر والناس في معاناة، أوفي الأمان والناس تتعرّض للقتل... كان له معاش محدّد من بيت المال، حتى اعترضت بعض زوجاته عليه مطالبات بالتساوي مع متوسطي الدخل... وقد نقل القرآن ذلك:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: 28]

ومعلوم للجميع مشاركة النبي(ع) في المعارك، وأن بيته بدون حماية شخصية، ولا ميزانية خاصة، ويوميا يتواصل مع الناس في المسجد، ويشكونه همومهم، وفورا يعمل على حلّها...

أين علماء الدين والحاكمين من هذا؟

بعض هؤلاء أسّس لعقيدة قتالية لا تحترم أبسط الأساسيات الفكرية، ويرسلون الناس إلى الموت، ولا مشكلة عندهم من الدخول في معركة أو حرب خاسرة ضد أي عدو كان، فليس مهمّا النصر، بل الشهادة هي الهدف! وهكذا لا يمكنك الاعتراض على مخططاتهم الطفولية، لأن قتلاهم "شهداءهم" ذاهبون إلى

الجنّة، بل إلى أعلى درجاتها، فعلى ماذا الاعتراض؟

هذا الموضوع لوحده يستغرق آلاف المجلدات للحديث عنه، حيث من ناحية التاريخ، نرى أن الملأ "أمراء أو ملوك، الزعماء الدينين أو السياسيين، رؤساء الأحزاب والجماعات" بغالبيتهم لا يؤمنون بالله ولا برسوله، فاسقين منافقين، يعيشون الترف، ويجمعون المال، ويتولّون المناصب، ويتقاتلون عليها...

أو هم أصلا من الكافرين بكل ما في الدين، ويستغلونه لمصالحهم الشخصية.

أو هم صناعة مخابرات لتدمير المسلمين.

أو القليل النادر منهم، لديهم "بشكل ما" نيّة حسنة، لأنهم مقتنعون بما يقومون به، ولكن نيّتهم الحسنة هذه ليست عذار لهم، لأنهم بالأساس عطّلوا عقولهم لتصير ساذجة تهضم أفكارا غير قرآنية لتجعلها منهاجا إسلاميا.

حسن النية شيء، وسوء التصرّف شيء آخر، حيث لا تشكّ للحظة في حسن نيّة أب أو أمّ لما فيه مصلحة أولادهم، ولكن حسن النية هذا، لن ينتج عنه دائما حسن تصرّف، حيث الغالبية الساحقة من الأهالي لا يجيدون تربية أولادهم،

ولم يتعبوا أنفسهم للبحث والدراسة وتعلّم أفضل الطرق لتربية الأولاد! وينشأ الأولاد مشحونون بالعقد النفسية الصريحة والخفية، والأعطال الفكرية... كل ذلك وليس لدينا أي اتهام لنيّة الأهل، بل لتصرفاتهم.

نفس الشيء يحصل مع القليلين من زعماء وعلماء المسلمين، القليلون منهم عندهم حسن نيّة، ولكن هل هذا يعني تقديسهم بشكل غير مباشر لدرجة اعتبارهم معصومين من الخطأ، وغير متهمين بسوء التصرّف؟

الإمام الحسين من أبرز النماذج التاريخية التي يحترمها غالبية علماء المسلمين عبر التاريخ، وأيضا غالبية عوام المسلمين، لأنه قام ضدّ حاكم ظالم، شارب للخمر علنا فلا تدري إن كان يأخذ قراراته عن وعي أو عن سكر، قاتل للأبرياء ولا يبالي، مستعد لفعل أي شيء بالناس ليبقى على كرسي السلطة، ولا اعتبار عنده للدين...

لا الإمام الحسين انتفض لقتل المسلمين المغايرين له بالعقيدة، وحينها كانت عقيدة المسلمين عموما واحدة، والخلاف سياسي، ولا خرج طلبا للسلطة لنفسه، بل ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

لم يخرج طلبا للشهادة، بل كان يتوقّع النصر بسبب المراسيل التي وصلته من زعماء الكوفة التي تطلب قدومه وتعده بتأمين جيش "سينضم إليه كثيرون من مدن أخرى" قادر على مهاجمة الشام مركز السلطة الفاسدة ليزيد...

الإمام الحسين حين أدرك أن الجيش الذي حاصره في كربلاء سيقتله حتما، طلب في آخر ليلة له من أهل بيته وأصحابه المغادرة بإصرار... ولكنهم رفضوا بإصرار، عسى أن يحدث شيء يغيّر الواقع، وفعلا قام أحد قادة جيش الحصار "الحرّ الرياحي" مع عدة رجال آخرين، بالانضمام إلى الإمام الحسين قبل بداية المعركة، وكاد جيش عمر ابن سعد ينفرط، إلى أن تدخّل قادته مهددين أفراد عسكرهم بالقتل وغضب الأمير، وواعدين بالأجر وسلب الغنائم...

وكانت الافتتاحية بقتل رضيع...

مسلمون يقتلون رجلا إن يقول: ربي الله. ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر!

ليس يزيد المجرم بالنموذج الذي يحتذى به لقيادة المسلمين، ولم يكن أولهم ولا آخرهم

في إجرامه... ولا اعتبار الإمام الحسين منتحرا نموذجا للاحتذاء به، مع تلبيس هذه الفجاجة "انتحار" بتعبير وصف "طلب الشهادة" مع علمه بأنه لن ينتصر، كما يقولون وهو غير صحيح.

## السيادة لله والقرار للإنسان

الله هو الإله، والبشر عبيد، الإله ذات نفسه يقول لعبيده:

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: 29]

ليختار كل عبد ما يشاء، الكفر أو الإيمان، ولكن مفاعيل وتبعات الكفر جحودا "يباسة رأس بإنكار الحقّ الواضح" يتحمّلها صاحب القرار أمام ربّه، وليس أمام العبيد.

أنت عبد، فما شأنك بمن يؤمن بالإله أو يكفر؟ ما علاقتك، ما الضرر عليك؟ بماذا أخطؤوا معك حين كفروا؟ من وظّفك مدافعا عن الإله؟ من وظّفك لجعل الناس يؤمنوا غصبا عنهم؟

الاقتناع بأن وظيفة إجبار الآخرين على الإيمان بما تعتقده أنت، هي وظيفة إلهية، غير صحيح، وهي وظيفة غير متاحة ولا مطلوب لها موظفون.

إعادة الاعتبار للقرآن ككتاب "بلاغ، وأصول تشريع المعاملات" هو الحلّ الوحيد للخروج من أزمـات التطـرف الـديني والتمـزق المجتمعي، وللخروج من مصيبة فكرة الفرقة الناجية، وللخروج من عقلية إدخال الناس إلى الجنّة بالقوة.

حصر التشريع في "حقوق الناس" وترك العقيدة لـ "رب الناس" هو الدين الذي تسمعه وتحترمــه، وهــو الــدين الــذي يكفــل كرامــة الإنسان، ويحول دون تحويل الدين إلى سوط يجلد به القوي الضعيف.

لقد حان الوقت لنفهم أن الله لم يطلب من أي أحـد أن يكـون بوابـاً على الجنـة، بـل طلب من الجميع أن يكونوا رحماء عادلين في الأرض.

القرآن الكريم أسس لدولة تضبطها قوانين (المعاملات) من أساسيات القرآن قليلة جدا، تترك هامش مرونة كبير في تفاصيل التشـريعات لتقـونن النـاس مـا يناسـبها بحسـب

زمانها ومكانها وأعرافها... بينما جعل الحساب على (العقيدة) محصورة بين الخالق والمخلوق.

طارق ناصر

malikao@gmail.com

t_nasser@hotmail.com

whatsapp: 96171528827